صور من إعجاز البيان فى فواصل القرآن
دراسة فى بلاغة الفاصلة

د. مطيع نشأت هيكل

مقدمة :-

الحمد لله رب العالمين ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على أفضل الخلق محمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وأصحابه الأطهار الميامين .

وبعد ...

فلقد حظيت فواصل القرآن الكريم باهتمام بالغ من العلماء قديماً وحديثاً [1] ، فتناولوها من نواح كثيرة ، حيث وضحوا الفرق بين معنى الفاصلة القرآنية وبين السجع في النثر – وإن اختلفوا حول المصطلح – أهو فاصلة أم سجع أم رؤوس آيات من مؤيد ومعارض .

لكن ما يلفت النظر أن معظم هذه الكتابات لم تربط في أغلبها بين الفاصلة وبين اتساقها مع المعنى الجزئي للآية الواردة فيها أو مع السياق العام للسورة كلها .

وهو ما حدا بي أن أكتب هذه الدراسة تحت عنوان " صور من إعجاز البيان في فواصل القرآن " دراسة فى بلاغة الفاصلة ، وذلك أن الفواصل القرآنية بأسلوبها المعجز وانسجامها مع المعنى العام قد خرجت على مفهوم كلام العرب وفنون قولهم شعراً ونثراً .

وهذا ما لاحظه العلماء قديماً ، فالرماني مثلاً في كتابه " النكث في إعجاز القرآن " يقول " فإن العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة منها الشعر ، ومنها السجع ، ومنها الخطب ، ومنها الرسائل ومنها المنثور الذي يدور بين الناس في الحديث ، فأتى القرآن بطريقة مفردة ، خارجة عن العادة له منزلة في الحسن تفوق كل طريقة ، ولولا أن الوزن يحسن الشعر لنقصت منزلته في الحسن نقصاناً عظيماً ، ولذلك من جاء بغير الوزن

المعروف في الطباع الذي من شأنه أن يحسن الكلام بما يفوق الموزون ، فهو معجزة " [1]

وخلاصة القول السابق أن الرماني ، نسب إعجاز الفواصل القرآنية نتيجة لخلو آياته من أوزان الشعر المعروفة ، التي تجعل للغته أثراً إيقاعياً على الأذن والنفس ، ومع ذلك فآيات القرآن بفواصلها تفوق هذا الشعر بوزنه ، ولهذا إخترت أن تكون عنواناً لهذه الدراسة .

وإرتباط الفاصلة بالمعنى إرتباط معجز بحق ، فلا وجد للفاصلة التي تشاكل رؤوس الآيات فقط في القرآن الكريم ، وهي " أواخر الآيات في كتاب الله – عز وجل – فواصل بمنزلة قوافي الشعراء " [2] .

وتقتضي الأمانة العلمية أن أشير إلى أهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث ومنها على سبيل المثال ، دراسة الباحثة ديالي محمود سليمان " الفاصلة القرآنية وأثرها في السياق " وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب ترهونة عام 2005 ف ، وبحث الدكتور " جاسم محمد " " النسق الإيقاعي في الفاصلة القرآنية " المنشور بمجلة الدعوة الإسلامية عدد 23 ، وبحث الدكتور " ساسي إمحمد " عن التغاير التصريفي في القراءات في نفس العدد ، وغيرها .

ولقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وستة مباحث ، تناولت في التمهيد علاقة الفاصلة بالسجع ، والفرق بينهما ، وفضلت مصطلح " الفاصلة " على السجع ورؤوس الآيات ، لوروده في القرآن الكريم ولتمييز الفاصلة عن السجع ورؤوس الآيات في تماثلها وعدم تماثلها ، وتنوع دلالتها كما في مبحث علاقة القراءات بالفاصلة القرآنية ثم عرضت لعلاقة الفاصلة بالمعنى فيما يعرف بالتمكين والتصدير و التوشيح والايغال .

أما المباحث فقد تناولت في المبحث الأول علاقة الفواصل بالأسلوب من حيث التقديم والتأخير ، أو الحذف أو الذكر ، أو العدول عن صيغة وتفضيل صيغة أخرى عليها .

وتناولت في المبحث الثا نى تلك الفواصل المختلطة لآيات متشابهة في الألفاظ والمعاني ، مما يجعل للفاصلة أثر فعالاً في إحداث اتساق وانسجام مع المعنى السابق عليها .

و تناولت في المبحث ال ثالث علاقة الفواصل بعلم القراءات ، حيث وجدت أن علم القراءات يثري الفاصلة ويعمل على تنويع دلالتها وتناولت في المبحث الرابع أسلوب التكرار في الفواصل ، وهو معروف عند العرب لكنه في القرآن الكريم يأتي بصور غير معهودة أكدت إعجازه وروعه وبيانه .

أما المبحث الخامس والأخير فقد تناولت فيه علاقة الفواصل بالإيقاع، وللإيقاع علاقة قوية بمبحث التكرار السابق ، مما جعلني أربط بين تكرار الفاصلة من خلال علاقتها بالإيقاع سرعة وبطئاً ثم أنهيت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها .

وعلى الله قصد السبيل

تمهيد :

الفاصلة بين التعريف والتوظيف :-

يعتبر أبو الحسن الأشعري أول من قال بنظام الفاصلة ، وتمسك بهذا المصطلح رافضاً مصطلح السجع ، وتابعه في ذلك علماء عدة ، منهم على سبيل المثال " الزمخشري " ، الذي ربط بين الفاصلة والمعنى العام للآية ، فكانت له لفتات ذكية ، وتفسيرات نافذة إلى لب السياق القرآني ، يقول في قوله تعالى { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ{ 11} أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ{ 12} وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ{13} } [1]

يقول الزمخشري معلقاً على هاختام الآيات بقوله " لا يعلمون " والتي قبلها " لا يشعرون " : فإذا قلت ، فلم فصلت هذه الآية بـ " لا يعلمون " والتي قبلها بـ " لا يشعرون " ؟ قلت : لأن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكسب الناظر معرفة [2] .

وفي السيرة النبوية ما يؤكد نفاذ بصيرة الصحابة وحسن استدلالهم وقوة بديهتهم ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يؤكد مدى تناسق وارتباط الفاصلة بالمعنى السابق عليها .

فقد روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان يملي على زيد بن ثابت قوله تعالى { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ{ 12} ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ{ 13} ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ [3]

وكان الصحابي "معاذ بن جبل " جالساً ، فقال ببديهته وحسن طبعه " فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم وقال "بها ختمت [3] "

مما يجعل مصطلح " الفاصلة " أنفع وأصح من غيره ، فالقرآن أشار إليه في قوله تعالى { كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ } [1] .

وقد حثنا الله على التدبر في آياته ، لإعجازها حيث يقول { أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً } [2]

كما أن الفاصلة تمتاز عن السجع ورؤوس الآية ، فالفاصلة تأتي متماصلة وغير متماثلة ، وقد تنفرد عما قبلها لتختم الآيات كالمقطع الأخير كما يذهب إلى ذلك الزركشي في قوله تعالى { فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ{9} وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ{10} وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ{11} [3] .

إلى جانب أنه لاسجع في القرآن على راي معظم العلماء وقديماً وحديثاً ، بينما الفواصل مختصة به ، وما أروع رأي الدكتور طه حسين الذي ذهب إلى أن القرآن " ليس نثراً ، كما أنه ليس شعراً ، إنما هو قرآن ن ولايمكن أن يسمى بهذا الإسم ، ليس شعراً ، وهذا واضح ، فهو لم يتقيد بقيود الشعر ، وليس نثراً ، لأنه مقيد بقيوم خاصة لاتوجد في غيره ، وهي هذه القيود التي يتصل بعضها بأواخر الآيات ، وبعضها بتلك النغمة الموسيقية الخاصة " [4] .

ويجعل السيوطي فرقاً بين الفاصلة القرآنية ورؤوس الآية حيث يقول " أما الفاصلة فهي كلام المنفصل عما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس ، وكل رأس آية فاصلة ، وليس كل فاصلة رأس آية ، فالفاصلة تعم النوعين " [5] .

وقد ظفرت علاقة الفاصلة بالمعاني بدراسات كثيرة [6] فربطوا به بلاغتها وحسنها بما يعرف بالتمكين والتصدير والتوشيح والإيغال .

فالتمكين أن ترد الفاصلة ممكنة ومستقرة ومعبرة عن المعنى ، بحيث لا يمكن أن تأخذ مكانها غيرها أو أن تعبر عنها ومنها قوله تعالى { أَوَلَمْ يَرَوْا

أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ }[1].

فقد بدأت الآية بما يرشح أن تكون فاصلتها { أَفَلَا يُبْصِرُونَ } دون غيره من الأفعال ، لأن الآية الكونية تتحدث عن قدرة الله في تغير الماء إلى الأرض حتى تنبت ، فتأكل منه الأنعام والإنسان وهي من الآيات البصرية، المشاهدة .

(وحكي أن إعرابياً سمع قارئاً يقرأ { فَإِن زَلَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمُ الْبَيِّنَاتُ } ثم أتمها بقوله (فأعلموا أن الله غفور رحيم) ولم يكن هذا الإعرابي يقرأ القرءان ، فقال : إن كان هذا الكلام كلام الله فلا يقول ذلك ، فإن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه اغراء عليه) [2]

فالفاصلة غير جائزة عند الأعرابي ، وقد عرفها بسليقته وطبعه الصحيح لعدم وجود اتساق بين صدر الكلام وعجزه ، ولأن الفاصلة الصحيحة الممكن المتلائمة مع السياق هي قوله تعالى { فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } .

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى { انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً } [3].

وقوله تعالى { رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ } [4].

و التوشيح أن يكون المعنى كالوشاح ، حيث يرشح صدر الكلام للفاصلة ، ويوجد فيه ما يدل على فحوى الفاصلة ، وهو ما جعلهم يقولون فيه :

إن الفاصلة تعلم قبل ذكرها ، وقد سمي بالمطمع لأن صدره مطمع في عجزه .ومثاله قوله تعالى :

---

1 – سورة السجدة الآية 27 .

2 – أنظر البرهان في علوم القرآن ص 95 .

3 – سورة الأسراء الآية 21 .

4 – سورة التوبة الآية 108 .

{ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ } [1]
فالفاصلة أوحت بالمفضول قبلها وهم " آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران " ولأن الفعل اصطفى اختيار وتدقيق ، ومن جنسه هؤلاء المختار ون [2]، والإيغال هو أحد أقاسم الإطناب وهو " أن يختم الكلام نثراً كان أو نظماً بما يفيد نكتة لا يتم المعنى يدونها وقد سمي بذلك لأن المتكلم تجاوز المعنى الذي هو أخذ فيه وبلغ إلى زيادة في الحد " [3].

ومن أمثلته في القرآن الكريم قوله تعالى { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْماً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ } فقد انتهى المعنى عند قوله تعالى { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ } استفهام يستنكر ويوبخ مسلك اليهود ، الذين يريدون العودة إلى حكم الجاهلية ، ثم أتت الفاصلة لتؤكد أفضلية حكم الله تعالى لقوم يوقنون به ، ويطيعونه .

ومما سبق يتبين مدى حرص العلماء على مصطلح " الفاصلة " وذلك من خلال تأكيدهم على ربطه بنهاية آيات القرآن الكريم ، هذا من جهة ومن جهة أخرى من خلال ربط تلك الفاصلة بالمعنى ، وهنا يستبين الفرق بين السجع والفاصلة ، فالفاصلة في آيات القرآن الكريم ترد من أ جل فائدة تعود على المعنى والأسلوب والسياق وهو ما سوف نتبينه من خلال التطبيق التالي على أساليب متنوعة للفاصلة . ولذلك فقد قسمت الدراسة إلى عدة مباحث تحت عنوان " فواصل " ، وحاولت قدر جهدي أن أربط بين إعجاز هذه الفواصل وما أدت إليه من فائدة ترتبط بسياقها المتسق مع الإيقاع الكلي للسورة .

---

1 – سورة آل عمران الآية 33 .

2- أنظر ابن الأصبع المصري " بديع القرآن " ص 90–91 .

3– الشريف الجرجاني " التعريفات " ص 50 .

ولما قصرت الدراسة على الناحية الأسلوبية ، فقد وجهتها للبحث عن علاقة الفواصل القرآنية بالأسلوب المصاحب لها ، حيث وردت أساليب قرآنية خالفت المعهود في الجملة العربية ليتسق مع السياق .

" كأن يتقدم المتأخر لمراعاة الفاصلة أو يؤخر المتقدم لل غرض نفسه ، أو يحذف من الكلام بعضه لأهمية الفواصل ، أو العدول من الإفراد عن الجمع أو من الجمع إلى الإفراد وغير ذلك من الأساليب " [1] .

كما وجدت فواصل ترتبط بعلم القراءات حيث اختلف العلماء حول صيغتها مما أدى إلى اختلاف الدلالة وإثراء المعنى .

كما وظف القرآن أسلوب " التكرار " بشكل غير معهود عند العرب ، لغرض بلاغي ، وكان لإيقاعه سواء كان بطيئاً أو سريعاً صلة قوية بمعنى الآية .

وسوف أتناول بالتحليل بعض هذه الصور التي ورد فيها تقديم الألفاظ وتأخير غيرها لفائدة بلاغية .

1 –الفواصل وعلاقتها بالأسلوب :

أ– التقديم والتأخير :

لايمكن بأي حال من الأحوال أن يكون لتقديم كلمة أو تأخير غيرها عنها أدنى صلة بمراعاة رؤوس الآية فقط ، ولو بحثنا في أمثلة التقديم والتأخير لظهر لنا مدى العلاقة القوية بين هذا التقديم والتأخير وبين المعنى الكلي المستفاد من السورة من خلال علاقة هذا التقديم بما سبقه .

قال تعالى في سورة النازعات { يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا{ 42} فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا{ 43} إِلَى رَبِّكَ مُنتَهَاهَا{ 44} إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا{45} كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا{46} [1] .

حيث ذهب الزمخشري في تفسير الكشاف أن المقصود قصر مدة لبثهم ، كأنها لم تبلغ يوماً كاملاً ، ولما ترك اليوم إضافة عشيته [2].

والحقيقة أن المعنى ولو قصد فيه قصر المدة ومراعاة الفاصلة عشية على معناها ، فإن إتساقها عجيب بين هذا التقديم وبين الدلالة الكلية لسورة النازعات حيث تؤكد السورة في موضع سابق أن خلق ال ليل سابق على النهار ، فقد خلق الله الليل أولاً وأخرج منه النهار ، يقول الله تعالى في نفس السورة { أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقاً أَمِ السَّمَاء بَنَاهَا{ 27} رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا{ 28} وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا{29} وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا{30} أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءهَا وَمَرْعَاهَا{31} [3] .

وهو ما يجعل قوله تعالى { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا } يراعى هذه الحقيقة الكونية التي أكدها العلم الحديث وينسجم مع السياق العام لسورة النازعات ، و لا علاقة للتقديم والتأخير بمراعاة الفاصلة المنتهية بالهاء الممدودة [4] .

وقريباً من هذا المثال قوله تعالى في سورة النجم { أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى{24} فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى } فلم قدم الآخرة على الأولى ، هل لمجرد مراعاة الفاصلة ، أم أن هنا إتساقاً وإعجازاً بيانياً لهذا التقديم ، ومن أجل تأكيد هذا الاتساق لابد من أن نعيد قراءة سورة النجم بآياتها الاثنيتين والستين ، كي نكشف سر هذا التقديم .

ومما لاشك فيه أن الآخرة مقدمة على الأولى في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، فقد حثنا على العمل لها لأنها بمثابة الحياة الدائمة { وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ }

وفي سورة الضحى نجد قوله تعالى { وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى }[1] وفي سورة النازعات نجد قوله متوعداً فرعون { فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى }[2] .

فأنظر إلى مدى دقة التناسب وإعجاز الخطاب القرآني ، وسورة النجم تتحدث عن مدى مجاوزة هؤلاء المشركين الحد في المعصية ، من خلال عبادتهم أصناماً لا تنفع ولا تضر ، أو من خلال تشكيكهم لرحلة الإسراء ومجادلتهم للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم حول صدق حدوثها .

وإدعائهم وافترائهم على الله الكذب ، وزعمهم أن الملائكة بنات الله فأتت الآية { فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى } فضلاً لهذا الجدل والادعاء والتشكيك ، كما أن الآخرة وبنسبتها وبجوارها للفظ الجلالة تأكيد على أفضليتها عند الله أما الأولى فتأتي في مرتبة متأخرة تأكيداً لقوله تعالى {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ } .

فتحبيباً للناس في الآخرة وتفضيلاً لها ،نسبها لذاته دائماً وبعد ذلك عطف الدنيا عليها .

ومن صور التقديم المشهورة التي رأى فيها العلماء مراعاة الآيات للفاصلة تقديم لفظ " هارون " على " موسى " في سورة " طه " وتقديم " موسى " على " هارون " في سورة " الشعراء ".

يقول تعالى في سورة طه { فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى{70} قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَاباً وَأَبْقَى } [1] .

وفي سورة " الشعراء " يقول تعالى { فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ{ 46} قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ{47} رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ } [2] .

فهل تقديم " هارون " على " موسى " في سورة طه ، جاء لمراعاة الفاصلة أم أن ذلك يقتضيه السياق ويلزمه المعنى العام للسورة .

والحقيقة أن سورة طه بسياقها العام تمهد لهذا التقديم ، فلما كلم الله موسى في الوادي المقدس طوى وأمره بأن يذهب إلى فرعون لطغيانه طلب موسى من ربه أن يشرح صدره وييسر له أمره وأن يحلل عقدة من لسانه يفقهوا قوله ، وأن يجعل له وزيراً هو هارون ، كي يشد به أزره ، ويشركه في أمره ..إلخ

فالسياق كله يوحي تخوف موسى عليه السلام من تلك المواجهة فلذلك يطلب مؤازرة هارون له على الرغم من شدة خوفهما .

يقول تعالى:{ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى{ 45} قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى } [3] .

فالموقف والسياق كله موقف خوف ورهبة ، خوف من موسى وأخيه من مجابهة فرعون ، وخوف من الشجرة عندما بدأت عصا فرعون تلقف ما يصنعون ، وكأن حالة الخوف تسربت من سيدنا موسى إليهم ، ف أذهلتهم فظهر عجزهم أمام معجزة كبرى ، فسبق لسانهم إلى النطق بهارون قبل موسى لأن السياق

يستلزم ذلك الاضطراب وعدم التوفيق في ترتيب الأفضل هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ورد ذكر اسم هارون كثيراً في سورة طه فقد جعله الله شريكاً لموسى في تبليغ رسالته ، في حين لم يرد في سورة الشعراء إلا قليلاً ، أأضف إلى ذلك أن سورة " طه " تبدأ بالحرفين الطاء والهاء وسورة الشعراء تبدأ بـ " طسم " فكلتا السورتين تبدأ بالطاء غير ان الحرف الأخير من " طه " هو الهاء ، وهو أول حروف هارون ، وليس فيها حرف من حروف موسى والحرف الأخير من " طسم " هو الميم وهو أول حرف من حروف " موسى " ، وليس فيها حرف من حروف " هارون " أفلا يزيد حسناً على حسن تقديم هارون على موسى في سورة طه ، وتقديم موسى على هارون في الشعراء فلنظر أي سر من أسرار التعبير هذا [1] .

وعلى الرغم من دقة التحليل الأخير ، الذي حاول من خلاله الباحث أن يربط بين افتتاح السورتين ، وتقديم هارون على موسى في سورة " طه " وتقديم موسى على هارون في سورة " الشعراء " ، إلا أنه وعلى الرغم من دقته وحسن استدلاله يبقى التحليل السابق الذي يربط الفاصلة من حيث التقديم والتأخير بالسياق العام والمعنى المستفاد من السورة كله هو الفيصل المادي المحسوس والمقبول عقلاً.

أولاً لاعتماده على التحليل اللغوي الذي يربط الأسلوب بمقتضيات الدلالة ، فلإعجاز الفاصلة تناسق و تآلف فى انسجام تظهر فيه دقائق الاختيار الرباني الذي يرتبط فيه اللفظ بالمعنى ، وينسجم فيه المعنى مع اللفظ ، وهذا هو الحد الفاصل بين فنية البلاغة كما تجلوها الفواصل القرآنية بدلالتها المعنوية المرهفة ونسقها الفردي في إيقاعها الباهر ، وبين ما تقدمه الصنعة البديعة من زخرف لفظي يكره الكلمات على أن تجئ في غير مواضعها [2] .

ومن صور التقديم النحوي تقديم المفعول به على الفعل في قوله تعالى { أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ } [1] .

فقد ذهب كثير من العلماء أن التقديم لنواحي رؤوس الآيات [2] على الرغم من أن سورة البقرة ومعها السور المدنية تؤكد على الفاصلة إلا أن للتقديم هنا ميزة دقيقة وهي أن الآيات في معظمها تقوم على هذا التقديم ففي قوله تعالى { أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ } تقديم للمفعول به على الفاعل ، واستفهام ينطوي على جملة شرط وجوابها ، للتوبيخ .

ومن ثم أراد الله تعالى تطويل هذا التوبيخ وتنويعه من خلال مخالفة طبيعة الجملة لفتاً وتأكيداً لفظاعة فعلهم من تكذيبهم وقتلهم للأنبياء .

ولكي ينسجم التقديم هنا مع التقديم السابق عليه في قوله تعالى { أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ } وكأن سائلاً يسأل ما الاستكبار فيأتي التوضيح { فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ } ، فجملة جواب الشرط مشدودة إلى جملة فعلها وكاشفة لها ، لأنها تبين نوع الاستكبار توبيخاً له وتحقيقاً لشدتهم وعنفهم ، ومن ثم يكون الاستفهام والشرط وجوابه والنفي في { لاَ تَهْوَى } والفصل والتقديم مبرز ا لهذه الأفعال السيئة وبذلك يكون الفصل هنا مشدوداً لبعضه ولا يمكن الاستغناء بأي كلمة منه والاكتفاء بما قبلها ، لأن السؤال عطش إلى الجواب ، ولا يكون الجواب موجوداً حتى يكون السؤال مقدراً عند ذاك ، تتعالق الألفاظ فتربط الكلمة بصاحبة لها وتغدو كائنة لها [3].

الفواصل وأسلوب الحذف :-

وهو أحد الأساليب التي أشار إلى أهميتها عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز ، وابن الأثير في المثل السائر [1] .

وقد ارتبط الحذف بالفاصلة القرآنية مراعياً مقتضى السياق ومتساوقاً مع المعنى العام ، فقد حذفت ياء الاسم المنقوص في قوله تعالى { وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ{32} يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ } [2] .

ويرى الزمخشري في الكشاف أن الحذف للإيجاز المتناغم مع فواصل الآيات السابقة [3] .

إلا أننا نرى أن في حذف الياء ميزة أخرى دقيقة تضاف إلى مشاكلة رؤوس الآيات ، فالمقام يوم القيامة سيكون مقام خوف وفزع ، إنه نداء وشدة وضيق ، ولايناسبه المد بالياء { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ{ 34} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ{ 35} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ{36} لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ } .

فالمقام مقام إيجاز وحسم ولا حاجة فيه للتطويل والمد كذلك انسجم ت الفاصلة مع السياق في قوله تعالى { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ }، لأن المقام مقام عذاب وإنذار ، وصيغة التهديد والوعيد لا يناسبها إلا الحذف الذي يأتي حاسماً وقاطعاً ومحققاً الإنذار والتخويف والوعيد فجاءت الفاصلة مقفلة لتنسجم مع سياق الآيات .

ومن النماذج الدقيقة قوله تعالى { وَالْفَجْرِ{1} وَلَيَالٍ عَشْرٍ{ 2} وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ{3} وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ } سورة الفجر ، فقد حذف حرف الياء لمشاكلة الفاصلة لما قبلها ، كما يرى الفراء [4] .

وسار على نهجه ابن سنان الخفاجي وغيره [1] ، والحق أن الحذف يناسب المعنى العام ، حركة الليل ، وانسيابه وقصره ، وعدم إحساس الإنسان بحركته مثل النهار ، فالحذف هنا على ما فيه من إيجاز ، فإنه يحمل انسجاماً واتساقاً وإعجازا يصل الفاصلة بالسياق العام .

" والآيات في سورة الفجر قصيرة سريعة يناسبها حذف الياء [2]."

ومن صور الحذف الشهيرة قوله تعالى في سورة الضحى { وَالضُّحَى{1} وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى{2} مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى{ 3} وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى } سورة الضحى .

حيث يذهب الفراء في كتابه " معاني القرآن " إلى أن المقصود في قوله { وما قلى } وإنما حذفت الكاف الثانية اكتفاء بالأولى في قوله { مَا وَدَّعَكَ } وهذا التعليل يتفق مع مباحث على النحو التي ترى عدم الحاجة إلى تكرار الكاف مادام المعنى مفهوماً من الكلمة السابق[3] .

ويرى الدكتور " عبدالعزيز عتيق " أن الحذف للمحافظة على الفواصل ومع أن الفاصلة القرآنية قد راعت المشاكلة وعدم التكرار اكتفاء بالكاف السابقة ، إلا أن السياق والمعنى يأبى ذلك التحليل ، الذي يقصد هإعجاز البيان القرآني على مجرد المشاكلة والإيجاز .

تقول الدكتورة " عائشة عبدالرحمن " إن حذف الكاف من {وَمَا قَلَى } مع دلالة السياق عليها تقتضيه حساسية مرهفة بالغة الدقة واللطف ، وهي تحاشي خطابه تعالى رسوله المصطفى في موقف الإيناس بصريح القول : وماقلاك ، لما في القلى من حس الطرد والإبعاد ، وشدة البغض ، وأما التوديع فلا شيء فيه من ذلك ، بل لعل الحس اللغوي فيه يؤذن بأنه لا يكون وداع إلا بين الأحباب ، كما لا يكون توديع إلا مع رجاء العودة وأمل اللقاء وحذفت كاف الخطاب في الفواصل بعدها ، لأن السياق بعد ذلك أغنى عنها [4] .

ونماذج الحذف كثيرة في القرآن الكريم ، وكل هذه النماذج تحتوي على لمحات أسلوبية غاية في الدقة والحساسية التي تتعلق بإعجاز اللغة التي تتعلق ألفاظها بعضها ببعض ، وترتبط جملها برباط عضوي شديد .

جـ- الفواصل وتغيير الصيغة :

والمقصود بذلك أن يعدل الأسلوب القرآني وينتقل من الإفراد إلى الجمع أو العكس ، أو من الإفراد إلى التثنية أو العكس لميزة أسلوبية تعود على السياق ، وتجعل للفاصلة حسناً وبلاغة لا يمكن أن تكون لها دون هذا العدول أو تغيير وضع الصيغة المتعارف عليها .

ومن نماذج هذا العدول قوله تعالى { فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى } [1] .

فالنداء في سورة طه موجه لكل من آدم وحواء ، فكان يفترض أن تنهي الفاصلة بما يناسب السياق ، فتصبح " فتشقيان " ، فهل كان من العدول والانتقال للمحافظة على الفواصل السابقة ، خاصة وأنها قد إنتهت بنفس الفاصلة " أبى ، تعرى ، تضحى ، يبلى ، فغوى ، وهدى " أم أن هناك ملمح أسلوبى يشفى من وراء العدول ، فالالتفات هنا من خطاب الاثنين إلى خطاب آدم عليه السلام ، يلزمه السياق العام للآية والدلالة المفهومة من معنى الآيات ، لأن الذي سيقع عليه عبء الخروج ، هو آدم وليس حواء " .

إذ هو الذي سيحمل ثقل الحياة على هذه الأرض ، وإن حملت زوجه بعض هذا فهي تبع له وهو الذي سيشقى وحده أو سيحمل العبء الأكبر من هذا الشقاء ، إذ هو خرج من هذا النعيم ، وهبط إلى الأرض [2] " .

ومن الآيات التي ورد فيها العدول من الإفراد إلى التثنية أي عكس النموذج السابق قوله تعالى { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ } فالقراء يفسر ذلك العدول والإنتقال برعاية الفاصلة [3] .

على الرغم من أن السياق العام للسورة نأى عن ذلك التفسير الذي يأخذ بظاهر اللفظ ، فالآيات السابقة لهذه الآية تشير إلى الإنس والج ن بقوله تعالى { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ } سورة الرحمن الآية 33 ، وبقوله تعالى { فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ } فضلاً عن تكرار الفاصلة المعجزة { فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } إحدى وثلاثين مرة ، " إذاً الحديث عن جنتين جنة للإنس وأخرى للجن ، وعلى ذلك فالسياق يقتضى أن تكون جنتان " [1] .

وقد يعدل الخطاب القرآني من المفرد إلى الجمع أو من الجمع إلى المفرد لغرض بلاغي يفهم من السياق العام للآيات القرآنية .

ومن صور العدول من الجمع إلى المفرد قوله تعالى { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ{54} فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ } سورة القمر .

فما سر العدول من الجمع " أنهار "إلى المفرد " نهر " لنجد أن المعاجم وكتب التفاسير أفادتنا كثيراً في تفسير هذا العدول فمن معاني النهر " السعة " ومن معاني النهر " الضياء " [2] ، أما الفراء فيرى أن النهر بمعنى أنهار " ونهر معناه أنهار " .

" وهذه المعاني كلها مراد ة مطلوبة ، فإن المتقين في جنات وأنهار كثيرة جارية في سعة من العيش والرزق والسكن وعموم ما يقتضي السعة " [3].

وقد يأتي العدول في الزمن من الماضي إلى المضارع أو العكس ففي قوله تعالى { أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ } سورة البقرة .

فقد تعددت صيغ الماضي في الآية في الأفعال " جاءكم ، استكبرتم ، كذبتم " ثم تم العطف بالفعل المضارع " تقتلون " ولا بد لهذا العدول والانتقال من تسويغ أسلوبي ، إن صح التعبير – فالفعل المضارع يفيد التجديد واستحضار صورة القتل مع ما فيها من بشاعة للتنفير من هذا الفعل الفظيع والمشين إلى التحليل الذي جاء في مبحث التقديم السابق [4] .

3- فواصل مختلفة لآيات متشابهة :

وهذا النوع من الفواصل يتكرر كثيراً في آيات القرآن ، حيث تتشابه الآيتان لكن تختلف في الفاصلة في كل منهما ، لتتسق مع المعنى المتلبس بالألفاظ ، ولتنسجم مع السياق العام للسورة كلها .

ومثال ذلك قوله تعالى في سورة الجاثية { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } [1] - أما في سورة فصلت يقول تعالى { مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ } [2] .

فسورة فصلت تتحدث آياتها عن فريقين ، فريق المؤمنين الذين يسبحون له بالليل والنهار ولا يسئمون وفريق الكا فرين الذين يلحدون في آياته ، ويكفرون بالذكر لما جاءهم ويجادلون في آيات الهي ، فمن الطبيعي أن تكون الفاصلة تتسق مع هذا المعنى { وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ } .

أما سورة الجاثية فتتحدث عن استهزاء الكفار بآيات الله واستكبارهم عن الإيمان [3] ، رغم آياته الكونية المختلفة من اختلاف الليل والنهار ، وما ينزل من السماء من رزق وتصريف الرياح ، وهو ما رشح للفاصلة بقوله { ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ } فيجازي المستكبر بتكبره ، ويجازي المؤمن بإيمانه

ومن الفواصل المختلفة أيضاً قوله تعالى في سورة إبراهيم { وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ } .

وفي سورة النحل { وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ } .

والذي لا جدال فيه أن فاصلة كل من الآيتين تنسجم مع سياقها العام الذي جاءت فيه ففي سورة النحل ، تضمن الحديث عن الله القادر المنعم الذي سخر لنا الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبحر والجبال وغيرها ...فأتت الفاصلة لتؤكد أن الله غفور رحيم لعجزهم عن إحصاء نعمه .

أما سورة إبراهيم فتتحدث عن صفات الإنسان ، وجحوده ونكرانه " والكفر بالله ، وعدم الاعتراف له بالفضل على نعمه ، ولذلك جاءت الفاصلة في صفتين من صفات الإنسان وهما الظلم والكفران " [1] .

ومن هذا النوع أيضاً ما قد ورد في سورة "غافر "حيث نجد الآية رقم(78) حيث يقول تعالى { وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاء أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ } [2] .

ثم نجد الآية رقم (85) تنتهي بقوله تعالى { وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } يقول تعالى { فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } [3] .

والحقيقة أن كل فاصلة قد انسجمت مع سياق الآية التي وردت فيها انسجاماً تاماً ، فالآية الأولى تتحدث من قضاء الله بين الناس بالحق يوم البعث ، ويومئذٍ يخسر المبطلون ، فنقيض الحق الوارد في الآية هو الباطل ، أما في الآية الثانية تتحدث عن عدم نفع الإيمان المطلوب من الكافرين عندما رأوا العذاب ، ومن المعروف أن ما يناقض الإيمان هو الكفر فغيرت الفاصلة عن هذه الدلالة تعبيراً دقيقاً .

وصدق صاحب " البرهان في توجيه متشابه القرآن " عندما ذهب إلى أن سبب اختيار المبطلون أنها تتصل بقوله تعالى " قضى بالحق ، ونقيض الحق الباطل " أما الفاصلة الثانية لأن نقيض الإيمان الكفر [4] .

ومن النماذج الأخرى المتشابهة قوله تعالى في سورة الرعد { وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } [5]

وقوله تعالى في سورة الحج { وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ{42} وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ{ 43} وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ } [1] .

وذلك لأن فاصلة { فَكَيْفَ كَانَ عقاب } تناسب سياق المستهزئين الذين يجمعون إلى الكذب والاستهزاء والسخرية فالعقاب الموجه إليهم تناسبه الشدة وتضعيف العقاب ، أما الفاصلة { فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ } الثانية جاءت في سياق التكذيب فقط دون الاستهزاء ، فأتي العقاب منسجماً مع السياق العام للآية.والله أعلم

4- أسلوب الفواصل والقراءات :

نزل القرآن على سبعة أحرف ، إلى جانب أن هناك بعض القراءات الشاذة ولكل قراءة توجيه في الإعراب ، كما أن القراءات المختلفة قد تغير في بنية الكلمة على المستوى الصرفي ، وهو ما يستتبع تغييراً جذرياً للمعنى .

وقد تابع العلماء هذه الظاهرة ، لكني سأشير إلى ما يتعلق بالتغيير الصرفي المرتبط بالفواصل ، لأنه يدخل في صميم بحثي هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كي نتعرف على أثر هذا التغيير في المعنى وهل له تأثير في ثراء الدلالة أم لا ؟

ومصطلح التغاير أو التغيير مشتق من الفعل غيُر ، إذا بدل وحول يقال غير الشيء ، إذا بدل به غيره وفي القاموس " تغير عن حاله ، تحول وغيره جعله غير ماكان وحوله وبدله " [1].

وهذا التغاير التصريفي ناشئ من اختلاف القراءات من قارئ لآخر تبعاً للهجات ، ويرى الدكتور ساسي إمحمد إمنيطة في بحثه " التغاير التصريفي بين القراءات وأثره في تنوع الدلالة " ، أن التغاير التصريفي يقصد به " التغيير الذي

يحدث في صورة الكلمة ، وصيغتها قبل التركيب ، ولما كان ذلك يحدث كثيراً في ألفلظ القرآن الكريم بسبب تنوع القراءات ، الأمر الذي ينشأ عنه أحياناً تنوع في الدلالة واختلاف في المعنى " [2].

ففي قوله تعالى { وَيَجْعَلُونَ لِلّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لاَ جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ } [3].

فقد قرأها نافع وأكثر أهل المدينة " مفرِطون" بكسر الراء مخففة ، وقرأها باقي السبعة " مُّفْرَطُونَ " بفتح الراء مخففة ، وقرأها أبوجعفر يزيد القعقاع أحد القراء العشرة " مفرّطون" بالتشديد ويرى الدكتور ساسي أن هذا التغاير التصريفي بين قراء الجمهور وقراءة أبي جعفر أدى إلى اختلاف المعنى ، فعلى القراءة الأولى " مفرِطون" إسم فاعل فيكون المعنى : تجاوز الحد إلى المعاصي ، أما بالفتح مخففة فمعناها متروكون من أفرطت فلاناً خلفي ، خلفته ونسيته [1] ، أو مقدمون إلى النار ، لأن الفرط في اللغة من معناه التقديم .

أما قراءة التشديد " مفرّطون" وهي اسم فاعل عن فرّط أي قصر وضيع حق الله وعباده .

والواضح أن المعنى قد تغير حسب الوضع الصرفي للكلمة ، وهذا التغاير التصريفي وتأثيره على المعنى قد أثرى الفاصلة وربطها بالمعنى العام للسورة ، حيث تصف السورة الإنسان بالخصومة الشديدة لله في نفيه للبعث أو الحساب { خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ } [2] ، وهو ينسجم مع معنى تجاوز الحد في ارتكاب المعاصي كما يتسق مع القراءة التي رأت في التشديد معناً للتقصير وتضييع حق النفس والله ، كما تنسجم قراءة " الفتح " بمعنى متروكون مع مكرهم وسوء تفكيرهم وظلمهم لأنفسهم وافترائهم على الله .

ولذلك فهم متروكون ليوم الحساب ، يقول تعالى في نفس السورة { وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ } [3] .

وهذه الآية سابقة على الفاصلة " مفرطون " فالإفراط بمعنى الترك يناسب المعنى السابق عليه { وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى } ويتسق معه وهو ما يؤكد ثراء الفاصلة القرآنية وتعدد دلالاتها مع اختلاف القراءات ، ويؤكد في الوقت نفسه أن هذا المبحث في حاجة ماسة إلى دراسة متأنية لبيان مناسبة فواصل القرآن للمعنى مع اختلا ف قراءتها ومن هذا النوع البديع دلالياً ، اختلاف القراء بين التشديد والتخفيف في لفظ " العادين " في قوله تعالى { قَالُوا لَبِثْنَا يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْئَلِ الْعَادِّينَ } [4] .

إذا قرأها جمهور القراء " الْعَادِّينَ " بالتضعيف ، فيكون معناها جمع عاد أي محصى ، أما الكسائي فقرأها " العادِين " بالكسر جمع عادٍ أي ظالم وهذه القراءة وإن لم يقصدها السياق إلا أنها من القراءات المروية عن الكسائي ،وهو من القراء السبعة ، وعن الحسن البصري وهو من القراء الأربع عشر ة ، كما أن المعنى العام الذي تتحدث عنه الآيات ، وهو موقف الكافرين يوم الحساب .

حيث يحاول بعضهم إلقاء اللوم على بعض كما صور القرآن الكريم ذلك في كثير من آياته مثل قوله تعالى { وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَاداً } [1] ، وهو يجعل الآية التي نحن بصددها تحمل وجه قراءة التخفيف [2].

والحق أن اختلاف القراءة لا تعنى تناقضاً في الدلالة ، بل العكس هو الصواب ، ثراء للمعنى يتسق مع الدلالة الجزئية ، الدلالة الكلية لسور القرآن .

إن المعنى سواء كان المقصود منه العادين بمعنى الحاسبين لعدد السنين ، أو الظالمين لغيرهم ، فينسجم مع المعنى قبله ، لأن الحديث السابق على تلك الآية يدور حول مقارنة بديعة بين فريق المؤمنين وفريق الكافرين .

وجزاء كل منهم في حوار ربانيٍ معجز يقوله تعالى { أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ{ 105} قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْماً ضَالِّينَ{106} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ{ 107} قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ }[3].

فهذه الآيات بحوارها الشيق تمهد لذلك السؤال وإجابته سواء كانوا يقصدون الحساب أو الظلم ، وهذا من ثراء الفاصلة وتعدد معانيها ودلالتها حسب القراءات المتنوعة .

وهو ما يؤكد من جانب آخر إعجاز فواصل القرآن مع اختلاف وتنوع قراءتها ، لأنه بالتوجيه الدلالي لتلك الفواصل يتبين مدى اتساع المعنى ، واتصاله من طرف خفي بكل قراءة ، وهو ما يربط القرآن الكريم ، وهو باب من أبواب إعجاز الفواصل يتصل بتوجيه تصريفها وقراءتها .

ويمكن أن نضيف إلى المثالين السابقين نموذجين آخرين وردا في سورة هود ، وسورة النحل حيث اختلفت الفاصلتان صرفياً مع انتمائهما لجذر لغوي واحد ، وهما ما جعل هذا الاختلاف ينسحب على الدلالة ذاتها في الآيتين بقوله تعالى في سورة هود { الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجاً وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ{19} أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُواْ مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللّهِ مِنْ أَوْلِيَاء يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُواْ يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُواْ يُبْصِرُونَ{ 20} أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ{ 21} لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ }[1] ، ويقول في سورة النحل { ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّواْ الْحَيَاةَ الْدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ{ 107} أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللّهُ

عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ{ 108} لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرونَ } [2].

ومما لاشك فيه أن التغيير التصريفي في الآيتين أتى متسقاً مع الدلالة الكلية للآيات ، فسورة هود تتحدث عن الذين يصدون غيرهم عن الجهاد في سبيله ولم يكتفوا بصدودهم ، فكان من الاتساق أن ترد الفاصلة مناسبة لذلك الصدود المضاعف – إن صح التعبير – أما في السورة الثانية فتتحدث عمن أغوته الدنيا وشهواتها وغرف في ملذاتها ناسياً أمر الآخرة فلستحق أن يكون خاسراً يوم القيامة .

فما أروع أسلوب القرآن ، وما أدق فواصله المعبرة عن السياق والمترابطة معه ، " فلما كان الفعل مضاعفاً والإثم مركباً اختيرت الفاصلة التي تدل على المبالغة في الخسارة وهي " أخسر "" بينما لما كان الصد والصدود وهو لفظ " خاسر " على زنة فاعل .[3]

5–أسباب التكرار في الفواصل :

وأعني بأسلوب التكرار ، ذلك التكرار الخاص بالفواصل القرآنية ، وهو من الظواهر الأسلوبية اللافتة التي تربط هذا الأسلوب بالإعجاز البياني .

وأسلوب التكرار معهود عند العرب لكنه في القرآن الكريم أتى بصيغ غير مألوفة لديهم ، فلم يكن غرضه التوكيد أو التقرير في كل سورة " ولا نعنى بكونه غير مألوف مظنة التنافر والتباعد فهو تكرار يطول إلى حد قد ينتظم السورة كلها ، ولم يأت به القرآن عفواً ، وإنما ساقه لأغراض ومقاصد غير التوكيد " [1].

وقد حاول كثير من المستشرقين أن يتخذوا من تكرار الأساليب في آيات القرآن ذريعة لنفي الإعجاز عنه ، والحقيقة أن التكرار من دلائل إعجازه " إذ أن تكرار المعنى الواحد بعبارات مختلفة في مواضع مختلفة مع جمال الألفاظ والجمل في مواضعها المختلفة كأن يكرر المعنى في قصة في صور مختلفة ،

وكل عبارة معجزة في ذاتها ويتحدى بها في نغمها وموسيقاها وألفاظها وجملها ، وعجز العرب على أن يأتوا بأي عبارة منها دليل على كمال الإعجاز في جملته وفي أجزائها " [2].

ومن صور التكرار غير المألوف عند العرب ، ذلك التكرار الوارد في سورة " الرحمن ، القمر ، المرسلات ، الواقعة " حيث تكررت فواصل بعينها تمثل آية أو أكثر ، عدة مرات في السورة الواحدة ، مع إحداث تغييرات في بعض الأساليب والكلمات لغرض بلاغي سنورده في مكانه .

ففي سورة " القمر " تكررت الآيتان { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ } و { وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } أربع مرات ولو تأملنا السورة وحاولنا أن نستشف من السياق العام لآياتها سر هذا التكرار بـاسلوبه المعجز ، لتبين لنا أن هذه الفواصل بتكرارها لم تأت للتوكيد أو تقرير حالة بعينها .

ولنتأمل سياق السورة بآياتها ومعانيها كي نتعرف على سر هذا التكرار المعجز ، فالسورة تتحدث بداية في موازنة منعقدة بين كفار قريش تكذيبهم للرسول واتباعهم لأهوائهم وبين تكذيب الأمم السابقة لرسلهم وما حدث لهم ، ثم تعرض " الموازنة القرآنية" إن صح التعبير ،صوراً متتابعة لما حدث لقوم نوح ، ووصفهم إياه بالجنون وسبهم له، فدعا عليهم فاستجاب الله دعاءه { فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِرٍ{ 11} وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ } [1].

لتأتي الفاصلة الأولى كالخاتمة المتوقعة كي تعطي العظة والعبرة بعد هذه الآية التي يجب أن تحرك عقول وقلوب من يعتبر ويتعظ .

{ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ{16} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } [2].

وتتكرر نفس الصورة بفاصلتها مع قوم عادٍ ، ومع قوم ثمود وتكذيبهم لسيدنا صالح رغم إنذاره لهم ، فقتل صاحبهم ناقة الله التي أخرجها لهم من الصخرة،

لكن الفاصلة هذه المرة تأتي بشكل مخالف للمرتين السابقتين ، ويقول تعالى { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ{ 30} إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ {31} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } حيث تم الفصل بين الآية الأولى والثانية من الفاصلة بصورة العذاب المنزل عليهم من الله العلي القدير ، لفتاً للذهن ، وتأكيداً على أن العذاب هذه المرة مختلف وأشد وأسرع من الآيتين السابقتين لاختلاف نوع الفعل وفظاعته ، وهو قتلهم للناقة التي أخرجها الله لهم فتنة ، مما جعل العذاب يأتي بعد الإستفهام الذي أنذرهم بالعذاب ، وليكون الجزاء بشدته متسقاً مع الإنذار بالعذاب وفي نفس الوقت منسجماً مع شناعة فعلهم وتصرفاتهم وتكذيبهم وجرأتهم مع الله ، ولشدة جدالهم لسيدنا صالح ، ووصفهم له بالكذب والتكبر ، ثم قتلهم للناقة .

كل ذلك كان يوجب أن يكون الجزاء سريعاً دون تمهل لشدة عنادهم وكفرهم ، إلا أن الله أمهملهم بالإنذار ، ثم أخذهم أخذ عزيز مقتدر ، فكان الجزاء سريعاً وحاسماً لكنه في نفس الوقت ينسجم مع أفعالهم وتباطئهم وشدة كفرهم .

لتنتهي السورة بقصة قوم لوط وتكذيبهم إياه بعد أن راودوه عن ضيفه فعماهم الله وأرسل عليهم ريحاً ترميهم بالحصباء ، لتأتي الفاصلة بصيغة أخرى غير الاستفهام يقول تعالى { فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ{ 39} وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ } .

ولابد أن لتغيير بداية الفاصلة من " كيف كان عذابي ونذر " إلى تلك الصيغة المرتبطة بالزمان ، غاية ودلالة تتسق مع الإعجاز البياني ، وذلك أن أفعال قوم لوط كانت تقوم على حبهم للرجال دون النساء ، وهذه العادة السيئة تقوم على اللذة الحسية ، ويناسبها الفعل " ذوقوا " لأنه من جنس فعلهم على بشاعته فلنظر إلى دقة الاختيار الرباني لآيات الفواصل ، وكيف انسجمت مع السياق العام للسورة ، سواء تكررت بأسلوب الاستفهام أو غيره ، وقد يناسب

الفعل " ذوقوا " طمس الله لأعينهم وهو حاسة من الحواس يتألم الإنسان كثيراً إن فقدها ويواجه صعوبات جمة في حياته والله أعلم .

وهكذا تتكامل القصص الفرعية وتتسق مع قصة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لتمد من يقرأها بجرعة إيمانية كبيرة من خلال ماتحويه من قصص انتهت خاتمتها بتلك الفاصلة المزلزلة لكيان المؤمن الذي يريد أن يتعظ ويعتبر.

يضاف إلى تلك الملاحظة المرتبطة بالفواصل وتكرارها ، الفاصلة المكررة بطول السورة والمنتهية بحرف " الراء " الساكن نطقاً في معظمها " انتصر ، قدر ، دسر ، كفر ، مذكر ، نذر مستمر " ولا يخفى ما في هذا الحرف من زجر وإنذار ، وما في تلك الصيغ الدقيقة الاختيار والمتنوعة من شدة في الإنذار وسوء العقاب ولأن المقام مقام ردع وزجر فإنه يتطلب لغة عالية من التفزيع وقد ورد هذا التكرار للتخويف والتهويل ليتحقق عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين إنذاراً واتعاظاً [1].

ومن التحليل السابق يمكن أن تقول ، إن تكرار الفواصل وتنوعها في سورة " القمر " وفي غيرها من السور قد خرج عن مألوف التكرار عند العرب لغرض بلاغي يرتبط بالسياق العام للسورة لفتاً للعقول وإيقاظاً للقلوب الغافلة عن آيات الله وإن هذا التنوع لم يأت عفوياً بل محسوباً ومقصوداً ويقتضيه الموقف القرآني – إن صح التعبير – لتقع العبرة موقعها ولتؤدي العظة دورها الحاسم .

وصدق الدكتور عبدالقادر رزق الطويل حين ذهب على أن " تفرد القرآن بهذا اللون البياني من الأسلوب مع احتفاظه بمستواه الذي عرف له من روعة النظم وجماله واتساق نغمة – هو – في حد ذاته – شهادة قائمة للبيان القرآني بأنه معجزة ".

ذلك لأن التكرار إذا وقع في الكلام نزل به عن درجة البلاغة أخل بمقتضيات الفصاحة ولذا ندر وقوعه في الأدب العربي ، وفي النثر – بصفة

خاصة – لأنه يسقطه ولا يحسب من البلاغة ، أما في القرآن فلم يحدث فيه اضطراباً أو ثقلاً مع كونه جاء في المواطن التي تجنبها العرب خوفاً من السقوط ، بل جاء اخف وقعاً وألطف مدخلاً .[2]

7- أسلوب الفواصل والإيقاع :

يرتبط موضوع الإيقاع بالبحث السابق عن تكرار ارتباطاً وثيقاً إذ تبين لنا من خلال تكرار الفواصل أنه تكرار نغمي لأصوات بعينها أو كلمات أو تركيب جملي ، كما في قوله تعالى { فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ } لأن المقام مقام تهديد ووعيد وإنذار ، وإذا أختلف المقام يختلف الإيقاع ليعطى الانطباع المطلوب بكل دقة .

ولما كانت الفاصلة القرآنية وتكرارها هي المنوطة بالبحث ، تربط تكرارها بتحليل علاقتها بالإيقاع سرعة وبطئاً ففي سورة " طه " مثلاً يختلف إيقاعها من إيقاع سورة " الناس " على سبيل المثال فسورة " المسد " مثال واضح على الرد الرباني المزلزل لأبي لهب وامرأته على عنادها وشدة كفرها برسالة محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان أكثر المعاندين قولاً وفعلاً ، حيث قال أبولهب رداً على دعوة الرسول لهم وإنذاره إياهم بالعذاب الشديد فقال أبولهب تباً ألهذا جمعتنا ، فأنزل الله آياته تلك ، ولما كانت امرأته تضع الشوك في طريق الرسول نزلت { وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ {4} فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ } .

فصوب الباء وتكراره مصاحباً لحروف أخرى شديدة الجهر مثل (الثاء – السين – الطاء – الهاء) يدل على شدة العقاب وتوحي بالدلالة المعنوية المفهومة من هذا التكرار الإيقاعي للحروف المصاحبة للفواصل (وتب – وماكسب – لهب – الحطب) وتنتهي الآيات بفاصلة مختلفة تأتي كالخاتمة التي تضع النهاية المتوقعة لعقاب منتظر لكنه واقع لامحالة فالصوت المفرد يختار بعناية ، وتصاحبه أصوات أخرى وقد تكون متقاربة المخارج إن احتاج

الموقف ذلك وقد تكون متباعدة المخارج إن كان التباعد أدل على المعنى ، وأكثر تصويراً له [1].

وصوت الباء وهو من الأصوات الشديدة المهجورة ، تناسب موقف التهديد والوعيد ، وما فيه من زجر وإنذار وتخويف فسورة المسد تتحدث عن تهديد ووعيد حاصل لامحالة ، فلا يناسب هذا التهديد غير هذا الصوت الشديد المهجور ، والذي تصاحبه أصوات أخرى تسانده وتؤدي نفس الدلالة كما سبق.

ولو أقمنا مقارنة سريعة بين اختيار هذا الصوت ، وبين اختيار فاصلة سورة " الناس " مثلاً لوجدنا أن فواصل سورة الناس تنتهي بحرف السين وهو من الحروف المهموسة الصفيرية والتي ينطلق منها الصفير بسبب صيغة فتحة الانفتاح حين ننطق هذا الصوت الاحتكاكي [1].

وصوت السين يناسب مقام الوسوسة التي يحاول عن طريقها إبليس أن يبعد الإنسان عن رحاب ربه وأن يقويه بارتكاب الآثام ، " وهو أدل بجرسه الصوتي الاحتكاكي الهامس على تصوير حالة الهمس الخفي ، وقد أعانته في ذلك بعض الأصوات الأخرى التي تقاربت معه مخرجاً ، ومنها الصاد المطبق الذي يشترك في كل خصائصه الصوتية مع صوت السين ، وهو يعطي جرساً أعلى وسط السينات المتتالية ويشترك معه صوت الفاء وهو صوت مهموس شفوي سني احتكاكي " [2].

هكذا تتعاضد الأصوات لتنبئ بجو الهمس الخفي ولتحرك وتدفع الدلالة تجاه الوسوسة ولتحقق معنى الدخول الخفي المناسب لإبليس .

أما تكرار الجميل كفواصل متساوية وسريعة ، لاستحضار صورة معينة وتجسيمها من خلال الإيقاع بنوعية السريع والبطيء فقد ورد في سورة العاديات بقوله تعالى { وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً{ 1} فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً{ 2} فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً{ 3} فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً{4} فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً{5} إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ{6} وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ

لَشَهِيدٌ{7} وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ{ 8} أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ{ 9} وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ{10} إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ } [3].

فإيقاع السورة خاصة في آياتها الافتتاحية يتميز بالسرعة والقوة والشدة التي تنسجم مع جو المعركة فالجمل تتكون من اسم مشتق يعمل عمل الفعل + مفعول به { وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً{1} فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً{2} فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحاً } .

فالفقرات سريعة تعتمد على فواصل حاسمة وشديدة ، من خلال أصواتها الجهورة لحروف (الضاد – الباء – الحاء المنونة – الصاد – القاف – الدال)

فالفواصل وحروفها المصاحبة والكلمات بحدتها وجهر حروفها – إن صح التعبير – تجسم جو المعركة كأنه ماثل أمامنا { فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً{ 4} فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً } .

ومن الملاحظات الدقيقة أن الإيقاع لسرعته ارتبط بفواصل مقفلة ، تستغرق وقتاً قصيراً في نطقها عكس المقاطع المطلقة التي تستغرق زمناً أطول وذلك لتحقيق السرعة المطلوبة لأن موقف المعركة يتطلب تلك المقاطع " ، ومن هنا كان استخدام المقاطع المقفلة يناسب لوناً من التعبير ، لا تؤديه المقاطع المفتوحة والعكس صحيح " [1].

ثم تنتقل السورة إلى إيقاع أبطء وأهدأ ، حيث تصور وتوجز في جمل متتابعة ومؤكدة بأن واللام ، أهم صفات هذا الإنسان المحب للدنيا والمنغمس في ملذاتها ناسياً حقوق ربه وجاحداً بشدة لأنعمه .

لكن الملاحظ هنا أن الإيقاع أتى أكثر هدوءاً وبطئاً لأن الجميل تخبر عن حال كائنه ، وصفات ملتصقة بهذا الإنسان ليكون هذا الإخبار إيذان ، بالجزاء المنسجم مع هذه الصفات .

فالآيات من 1–5 إيقاعها سريع لأنها تتحدث عن جو المعركة وما فيه من أصوات وغبار والتحام وتوسط للجموع ، ومن ثم أتت الجمل قصيرة

ومتنوعة بين الاسمية والفعلية والآيات من 6–8 إيقاعها أقل سرعة لأنها جمل خبرية مؤكدة تخبر عن حال الإنسان وما جبل عليه من جحود لنعم الله على الرغم من كثرتها والآيات من 9–11 إيقاعها أسرع يناسب الإيقاع ويرتبط دلالياً .

لكن من العلاقة الخطية التي تربط الإيقاع السريع في بداية السورة والإيقاع البطيء في نهايتها على الرغم من أن موضوع كل من الإيقاعين مختلف تماماً، فالإيقاع السريع يتحدث عن المعركة وما يحدث فيها من عدو، وإغارة ، وإثارة للغبار ، وتوسط لجموع المتحاربين إلخ ، والإيقاع الثاني يتحدث عن الإنسان وجحوده وبعثه وحسابه .

ومن خلال التحليل الدقيق ، نجد علاقة خفية لكنها قوية تربط هذا الإيقاعين وهما المفاجأة والسرعة ، فكما تفاج ئ الخيول الناس في المعركة في سرعة كذلك يوم القيامة سيفاجأ الناس بنفس السرعة بل وأسرع مما يتصوره العقل البشري .

فهل تكون سورة العاديات بإيقاعها السريع والأقل سرعة تصوير قرآني معجز لحال الإنسان في دنياه وهو منكب على ملذاته ناسياً خالقه ، ثم مرده إليه في الآخرة ليحاسبه على ذلك الجحود وتلك الأفعال الدنيوية .

فالسورة تحتوي على ثلاث فواصل متنوعة ، بين الحاء المطلقة المنونة ، والدال ، والراء ، وهذه الفواصل على تنوعها وتكرارها وإيقاعها تجسد هذا التنوع واختلاف مصير الإنسان بين دنياه التي يعيش فيها عابثاً لاهياً وبين آخرته التي سيواجه فيها مصيره الحاسم وليس أدل على هذا الحسم والشدة من التعبير بالأفعال مبنية للمجهول مشددة في قوله تعالى :

{ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ{ 9} وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ } لفتاً للذهن للحدث نفسه وتركيزاً له ، أما التشديد فدلالته واضحة على شدة الزجر والتهديد .

والله أعلم

نتائج البحث

1 -إن مبحث الفاصلة في القرآن الكريم من المباحث الهامة التي تؤكد ثراء ألفاظ القرآن ومعانيه .

2 -إن الفاصلة القرآنية ترتبط بإعجاز البيان القرآني ارتباطا وثيقاً ، حيث اتضح ذلك من خلال علاقتها بالسياق العام للسورة وليس من خلال علاقتها بما قبلها فقط .

3 -إن الدارسة الأسلوبية للفواصل القرآنية ، من الدراسات الخطية التي تكشف جماليات الأسلوب القرآني من داخله ، عبر لغتها الدقيقة بألفاظها الموحية وجملها البليغة وعباراتها الآسرة .

4 -إن مباحث " التقديم والتأخير " و " الحذف والانتقال " من صيغة الإفراد إلى الجمع " أو العكس قد أكدت مدى ارتباط الفاصلة بالسياق العام للسور الواردة فيها ، وليست فواصل أتت لمجرد الزينة اللفظية .

5 -إن هناك التغيير لثراء الفاصلة وتعدد تأويلها حسب القراءة وهذا البحث دقيق وفي أمس الحاجة إلى إعادة تنقيب للربط بين التغيير التصريفي للفاصلة وبين خصوبة دلالتها المرتبطة بالسياق العام .

6 -إن تكرار الأساليب المرتبطة بالفاصلة – سواء كانت آية أو أكثر – قد يأتى مخالفاً للمعهود عند العرب ، تحقيقاً لعجزهم عن تقليده ، وبياناً لإعجاز البيان الخالد .

7 -إن الإيقاع سواء كان مرتبطاً بالحروف أو تكرار كلمات أو جمل بصيغها في سور القرآن قد ساهم في ثراء الدلالة وأوحى بالمعنى المرتبط بهذا الإيقاع في سرعته وبطئه .

أهم المصادر والمراجع

1 -ابن منظور الإفريقي " لسان العرب " .
2 -أبوحيان الأندلسي " الحبر المحيط " .
3 -آب الأثير " المثل السائر " .
4 -إبن سنان الخفاجي " سر الفصاحة " .
5 -الباقلاني " إعجاز القرآن " مؤسسة الكتب الثقافية بيروت .
6 -الرومانى "النكت فى إعجاز القرآن" تحقيق د/ محمد خلف الله، د/ محمد زغلول سلام – دار المعارف مصر.
7 -الزمخشري " تفسير الكشاف " دار الكتاب العربي جـ1 .
8 -السيوطي " الإتقان في علوم القرآن " دار الهدى الجزائر جـ1 .
9 -الكرمانى "البرهان فى تأويل متشابه القرآن" دار القلم بيروت.
10- الفراء " معاني القرآن " دار السرور بيروت جـ2.
11- النيسابوري "غرائب القرآن ورغائب الفرقان " المكتبة القديمة القاهرة جـ1.
12- أحمد أبو زهرة المعجزة الكبرى ، دار الفكر العربي 1988 .
13- د . جاسم محمد " النسق الإيقاعي في الفاصلة القرآنية " مجلة كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 2006 .
14- جلال الدين السيوطي " تفسير الجلالين " دار المعرفة بيروت.
15- د . يالي محمود سليمان " الفاصلة القرآنية وأثرها في السياق " ماجستير جامعة المرقب ليبيا كلية العلوم والآداب ترهونة 2005-2006 .
16- د/ عائشة عبد الرحمن "الإعجاز البياني للقرآن" دار المعارف القاهرة.
17- د/ عبد الرزاق رزق الطويل " دراسات في البيان القرآني " دار البيان القاهرة.
18- عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز ".
19- عبد الكريم الخطيب " إعجاز القرآن " دار الكتاب العربي مصر.
20- د/ طه حسين " من حديث الشعر والنثر " دار المعارف مصر.

21– د/ ساسي إمحمد " التغاير التصريفي في القراءات " مجلة كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا 2006 .
22– د/ فتحي أحمد عامر " المعاني الثانية في الأسلوب القرآني " منشأة المعارف بالإسكندرية مصر.
23– محمد أبو زهرة " المعجزة الكبرى " دار الفكر العربي 1988 .
24– د/ محمد رمضان الجربى "البلاغة التطبيقية علم البديع" دار إلجا مالطا

---

[1] – ينظر على سبيل المثال ، الباقللاني " إعجاز القرآن " بيروت ص 55 .
القراء " معاني القرآن " دار السرور بيروت جـ 2 ص 168 .
الينسابوري " غرائب القرآن ورغائب الفرقان " المكتبة القديمة القاهرة جـ، 1 ص 425

1– الرماني " النكث في إعجاز القرآن " تحقيق د . محمد خلف الله وزغلول سلام ، دار المعارف مصر ص 102 .
2– ابن منظور الإفريقي ، لسان العرب جـ 7 ص 41 .

1 – سورة البقرة من الآية 11– 13 .
2 – الزمخشري " تفسير الكشاف " دار الكتاب العربي جـ1 ص 49 .
3 – سورة المؤمنون من الآية 12–14 .
[3]– السيوطي " الإتقان في علوم القرآن " دار الهدى الجزائر جـ2 ص 120 .
[1] – سورة فصلت الأية 3 .
[2] – سورة النساء الآية 82 .
[3] – سورة الضحى الآيات من 9–11 .
[4] – الأستاذ الدكتور " طه حسين " من حديث الشعر والنثر ، دار المعارف مصر ص25 .
[5] – السيوطي " الإتقان في علوم القرآن " جـ3 ص 332 .
6- أنظر د . محمد رمضان الجربي " البلاغة التطبيقية علم البديع " ص177 .
[1] – د. يالي محمود سليمان "الفاصلة القرآنية وأثرها في السياق " ماجستير مخطوط جامعة المرقب ، كلية الآداب والعلوم ترهونة 2005 –2006 ف ص 92 .

[1] – سورة النازعات من الآية 42–46 .

[2] – أنظر الزمخشري تفسير الكشاف جـ 4 ص 699 .

[3] – سورة النازعات من الآية 26– 31 .

[4] – أنظر ديالي محمود "ا لفاصلة القرآنية وأثرها في السياق " ص 98 .

[1] – سورة الضحى الآية 4 .

[2] – سورة النازعات الآية 25 .

[1] – سورة طه من الآية 70 – 71 .

[2] – سورة الشعراء من الآية 46– 48 .

[3] – سورة طه من الآية 45– 46 .

[1] – د . جسام محمد " النسق الإيقاعي في الفاصلة القرآنية " مجلة كلية الدعوة الإسلامية طرابلس 2006 ص 149 .

[2] – د . عائشة عبدالرحمن " الإعجاز البياني للقرآن " دار المعارف في القاهرة ص278 .

[1] – سورة القرة الآية 87 .

[2] – أبوحيان الأندلسي " البحر المحيط " جـ1 ص 483 .

[3] – عبدالقاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص 525 .

[1] – انظر عبد القاهر الجرجاني " دلائل الإعجاز " ص 146 وابن الأثير " المثل السائر " جـ 3 ص 279

[2] – سورة غافر من الآية 32–33 .

[3] – انظر الزمخشري " تفسير الكشاف " ص 165 .

[4] – الفراء معاني القرآن جـ3 ص 107 .

[1] – ابن سنان الخفاجي " سر الفصاحة " ص 173 .

[4] – انظر د . جاسم محمد " النسق الإيقاعي في افلاصلة القرآنية " مجلة كلية الدعوة الإسلامية 2006 ص 152

[1] – سورة طه الآية 117 .

[2] – عبدالكريم الخطيب " إعجاز القرآن " في دراسة كاشفة لخصائص للبلاغة العربية ، دار الكتاب العربي مصر ص 220.

[3] –القراء " معاني القرآن " ص 118 .

[1] –د . جاسم محمد " النسق الإيقاعي في الفاصلة القرآنية " ص 165 .

[2] – لسان العرب جـ7 ص 96 .

[3] – د . جاسم محمد سهيل " المنسق الايقاعي في الفاصلة القرآنية " مجلة الدعوة الاسلامية عدد 23 ص 167 .

[1] صورة الجاثية الآية 15 .

[2] – سورة فصلت الآية 46 .

[3] – أنظر تفسير الجلالين سورة الجاثية ص 661 .

[1] – د . جاسم محمد " النسق الإيقاعي في الفاصلة القرآنية " ص 158 .

[2] – سورة غافر الآية 78 .

[3] – سورة غافر الآية 85 .

[4] – أنظر الكرماني " البرهان في توجيه متشابه القرآن " دار القلم بيروت ص166 .

[5] – سورة الرعد الآية 32 .

[4] – سورة الحج من الآية 42– 44 .

[1] – مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي " القاموس المحيط " .

[2] – د . ساسيي إمحمد " التغاير التصريفي في القراءات " مجلة كلية الدعوة ليبيا 2006 ص 270 .

[3] – سورة النحل الآية 62 .

[1] – أنظر إلى عبيدة " مجاز القرآن " جـ1 ص 361 .

[2] – سورة النحل الآية 4 .

[3] – سورة النحل الآية 61 .

[4] – سورة المؤمنون الآية 113 .

[1] – سورة سبأ الآية 32 .

[2] – د . ساسي إمحمد " التغاير التصريفي بين القراءات " مجلة كلية الدعوة الإسلامية ص 280 .

[3] – سورة المؤمنون من الآية 105– 108 .

[1] –سورة هود من الآية 19– 22 .

[2] – سورة النحل من الآية 107 – 109 .

[3] – د . يالي محمود سليمان " الفاصلة القرآنية وأثرها في السياق " ص 121 .

[1] – د . عبدالقادر رزق الطويل " دراسات في البيان القرآني " دار البيان ص 109 .

[2] – محمد أبوزهرة " المعجزة الكبرى " دار الفكر العربي 1988 ص 160 .

[1] – سورة القمرة من الآية 11– 12 .

[2] – سورة القمر من الآية 16–17 .

[1] – د . فتحى أحمد عامر " المعاني الثانية في الأسلوب القرآني " منشأة المعارف ص 443 .

[2] – د . عبدالقادر رزق " دراسات في البيان القرآني "

[1] – أنظر " تفسير الجلالين " دار المعرفة بيروت ص 830 .

[1] – أحمد محمد قدور " مبادىء اللسانيات دار الفكر دمشق " جـ2 ص 87 .

[2] – محمد أحمد نخلة " لغة القرآن " في جزء عم ص 348 .

[3] – سورة العاديات من الآية 1– 11 .